

ديمقراطية أبي

فايز مشعل تهو

ديمقراطية أبي
المؤلف : فايز مشعل تمو

تصميم الغلاف : أحمد بلال

الطبعة الأولى : ديسمبر 2016
رقم الإيداع : 2016/26305
الترقيم الدولي : 5-163-769-977-978

توزيع السودان: أماني أبو الريش
00249118776697

جميع حقوق الطبع محفوظة
الناشر: أوراق للنشر والتوزيع
awraaq@live.com
القاهرة - 2 شارع شريف
- الدور الخامس - مكتب 57
م : 01010490247
ت : (02)23963002

• • • ديمقراطية أبي • • •

الإهداء

إلى أبي

فايز مشعل تمو

«أنا لا أصر على إعطاء هوية لما أكتب، عمّدوا بالاسم الذي تختارونه ما سوف يخطه قلّمي.
لست أكتب لكي أوافق واحداً من القوانين التي وضعتموها، ولكنني كتبت ما كتبت لأبّي نداء قلبي.
والقلب لا يعرف قانوناً، أو على الأصح: للقلب قوانينه التي لا تناسب الناس جميعاً».

رسول حمزاتوف

بين مقدمتين:

بيد علامتي روح واحدة...!

ثمة رهبة كبيرة تكاد لا توصف، تمتلكني، كلما وجدتني أمام مهمة تقديم كتاب ما، لاسيما إذا كان إبداعياً، ما يدعوني لأن أنتظر فترة طويلة، حتى أستطيع أن أجدني قادراً على مقارنة عوالم نصوص هذا الكتاب، وما أكثر ما حدث أن انتهت المدة المتفق عليها، بيني ومؤلف الكتاب ما يضطره لطباعة الكتاب دون المقدمة، ما يجعلني أشعر في قرارتي بحزن، وتأنيب ضمير، غير أن ما حدث لي، عندما كلفني فايز التمو بكتابة مقدمة مجموعته القصصية «ديمقراطية أبي» كان جد مضاعف، وذلك لاعتبارات كثيرة، من بينها أن فايز أكثر هؤلاء الذين يكتبون بصمت، إلى الدرجة التي أثرت على تواصله مع عوالم النشر طويلاً. لاسيما إنني أعلم أنه، وبحكم العلاقة الحميمة التي أعتز بها بيني وأسرته على علم بأن شغفه وممارسته للكتابة يعودان إلى وقت مبكر، وأن باكورته الإبداعية إنما تأخرت، عن الطباعة، لظروف كثيرة، منها ما يتعلق بطبيعة هذا الكاتب، ومنها ما يعود إلى الظروف التي مررنا بها خلال عقد ونيف زمني، مضى. واستفحل الأمر بعيد انطلاقة الثورة

السورية، وكان لفايز وأسرة فايز ضربيتها الكبرى فيها، منذ بدايات اشتعال أوارها..!.

أجل. لقد بدت رهبتي أكبر، بعد تكليفي بكتابة مقدمة هذا الكتاب. ولعل، في مقدم الأسباب أن المؤلف نجل صديق عزيز هو الشهيد مشعل التمو الذي قدمت لأول أعماله المطبوعة، بل ولأكثر من عمل يتعلق به، ومنها ذلك الكتاب الذي تناول فترة سجنه، واقترح على الفور، عندما علم بأن رفاقه قد جمعوا ما كتب عنه، فأشار إلي. إذًا، إنني-الآن- أمام تقديم له خصوصيته العالية. خصوصيته المضاعفة. خصوصيته المشددة، وهو أن أقدم لكاتب مبدع، كما فعلت مع والده. ومن حقي أن أحسّ بالمسؤولية العالية إزاء هذه المهمة الأكثر صعوبة، انطلاقاً من دلالاتها، وتأثيرها النفسي علي.

قبل أن أعود إلى تجربة فايز، القاص، فإن أمراً مهماً، هنا، يفرض ذاته علي، وهو أنني إذ أحتفي و أحتفل بهذا الكتاب على نحو حميمي، مائز، فإن لذلك أسبابه، ومسوغاته، العميقة، لدي. وفي مطلع كل ذلك، أن هذا الكتاب- وتحت عنوانه وهو المهدي إلى الكاتب مشعل التمو- والد المؤلف - يأتي رداً على هؤلاء الذين حلموا بإطفاء صوت هذا الشهيد. إذ إنهم خسروا الرهان. فها هو مشعل نفسه يقرأ، على أوسع نطاق ومدى، لأنه بيننا، أكثر من هؤلاء القتلة. كما أن فايز، بل وأكثر من نجل من أنجال الشهيد مشعل، يتعاطيان الكتابة الإبداعية، وفي هذا ما يخزي هؤلاء السفلة المجرمين، لأن رسالته في الإبداع- وهو القاص كما هو

• • • ديمقراطية أبي • • •

الكاتب والقائد السياسي - تتواصل، عبر أفراد أسرته، وفي هذا أعظم إنجاز لكاتبنا الشهيد..!

لا أريد، أن أستغرق كثيراً، في مقدمة هذه المقدمة، نظراً لحساسية الأمر، لاسيما لأن من حق التجربة الإبداعية أن تكون مستقلة عن أبواتها البيولوجية، إلا ضمن دائرة: التأثير، والتأثير، بل و الفضاين البيئي، والمعرفي، وغيرهما، لأن في تجربة فايز ما يستحق أن يشكل ملامحه الخاصة. ليس لأنه يكتب -هنا- ال « ق. ق. ج » التي ربما لم يكتبها والده باللغة العربية. بل لأن العوالم التي يتناولها، و زاوية تناوله لها جديرة بالاحتفاء، من دون أي تردد في قطع - حبل سرتها - عن أي كيان إبداعي آخر، وفي هذا ما دعاني لأستبشر بما قرأت لفايز في حياة أبيه، وبعد غيابه الفيزيولوجي، أيضاً..!

تنتمي نصوص القاص فايز التمو إلى ذلك النوع من نصوص السهل الممتنع. إذ إن متلقيها، المتفاعل، مع عوالمها ليحس ببساطتها، وشفافيتها، من جهة، كما أنه ليستشعر، من جهة أخرى، بأنها تتأسس على ما هو غير عادي، وغير مكرر، ناهيك عن امتلاكها لعنصر الدهشة، وذلك الهارموني الذي يجعل هذا النص المكتوب، باقتصاد لغوي باد قادراً على أن يترك أثره في النفس، بما يحقق المعادلة الإبداعية التي لا تخضع لأحادية التقعيد، بل المنتمية إلى فضاء الإبداع الشاسع، الاستثنائي.

ثمة عفوية واضحة في عوالم نصوص هذه المجموعة. هذه العفوية التي تتأتى من عاملين رئيسيين: الخبرة والعمق المعرفي والجمالي، ولهذا

فإن لهذه النصوص علامتها الفارقة التي تكاد لا تذكر بأحد، بل إنها لتحيل إلى الناص نفسه، وفي هذا ما يدل على أصالة موهبة مبدعها الذي يكتب رؤاه، وآلامه، وأحلامه، من دون أن يستعير كل ما يخص غيره، وإن كانت هذه الخصوصية نتاج التفاعل مع المحيط، بل نتاج الوفاء لهذا المحيط. إذ أن الناص ينجح في أن يجعل من ألم الذات ألماً مشاعاً، من خلال تناوله الجمالي له، وفي هذا مكمن لغز الإبداع الفطري الأصيل. الإبداع الذي لا يتخمر إلا في رحاب ذات مرهقة الأحاسيس، لا تستسلم أمام كم معاناتها، بل تتناولها، كعمود فقري، لعالم أسر، ذي سطوة دلالية جمالية، كما هو شأن أي نتاج إبداعي لافت...!

ينجح الناص، وإلى حد بعيد، في توظيف لغته اليومية البسيطة، كي تكون لبنات عمارة، يهندسها، كما يليق بتوقعه الشخصي، بل بما يحفل بإيقاعات روحه. كما أن هذه اللغة التي تبتعد عن الترفية، لاتنسى الترفيه الجمالي، أو المتعة الجمالية، وإن كانت عدته في كل ذلك أدوات بسيطة، عبر نص مضغوط، مكثف، يحاول جاهداً ألا يتكىء خلاله على الشعرية المستعارة، من دون أن يغلق منافذ الشعرية المتولدة من ضمن النص. وهنا، فإننا أمام سمة أخرى، للنص، الذي يتم تقديمه كوثيقة جمالية معرفية، بعيداً عن لغة الخطاب التي قد تنشأ تحت وطأة الألم العظيم الذي ينطلق منه الناص، بعد ألمه العظيم باغتيال والده الذي كان يعد أنموذجاً للكاتب والسياسي اللذين لا يساومان...!

وأخيراً، فإنه إذا كنت تعاطيت مع الشريط اللغوي للنصوص التي

• • • ديمقراطية أبي • • •

شكلت مدونة فايز التمو على أنها تنتمي إلى جنس أدبي محدد، إلا أنه كما يبدو لم يفعل ذلك. إذ أنه افتتح مدونته بمقولة لرسول حمزاتوف تقول: «أنا لا أصر على إعطاء هوية لما أكتب، عمّدوا بالاسم الذي تختارونه ما سوف يخطه قلبي».

لست أكتب لكي أوافق واحداً من القوانين.....، التي وضعتها ولكنني كتبت ما كتبت لألبي نداء قلبي. و القلب لا يعرف قانوناً، أو على الأصح أن للقلب قوانينه التي لا تناسب الناس جميعاً».

إنه هنا، يعد بكتابة ما هو فوق الجنس الأدبي، حتى وإن تماهى مع أحد أشكاله - وهي: القصة القصيرة جداً- وفي هذا ما يبشرنا بانتظار حفر إبداعى آخر للناص، لاسيما في ظل مرحلة ثورة المعلومات التي باتت تقترح مدونات إبداعية خارج أجناسية...؟!.

إبراهيم اليوسف

7-10-2016

• • • ديمقراطية أبي • • •

في حضرة والدي

١ - السلطة

استشهد والدي برصاص مسلحين مجهولين.
في المستشفى وقبل أن أغلق عيون أبي رأيت فيهما صورة القاتل وبندقيته،
وسمعت صوت والدي يهمس في أذني: «لا تصالح».

٢ - قوة

دخلت غرفة المشفى حيث والدي، حاولت إيقاظه، لاحظت آثار
الطلقات على صدره، أحصيتها ٢..٦...٨...١٦ هذا كثير.....
ابتسمت روح والدي وقالت: بل هذا قليل، فأنا مشعل التمو والدك
ولا أقتل بآلاف الرصاصات.

٣- وراثته

بعد استشهاد والدي، ورثت عنه كل شيء تقريباً، مكتبته، حقيبة يده، حاسوبه الشخصي، قلمه، أوراقه البيضاء، فنجان قهوته....
وأيضاً نفس رسائل التهديد التي كانت تصله.

٤- رسول

التقيت بشاب يدعو إلى أحد الأديان السماوية، حيث قال: من ينادِ الله عز وجل، سيُرسل له أحد الأنبياء في الحلم ليحميه ويدافع عنه.
ولكن في الحلم لم يزرنني أحد، غير طيف والدي؟

٥ - مقومات

سألني الحاكم عن مقومات الدولة الأساسية.
بدون تفكير أجبته: هذا سهل..
كل ما تحتاجه دولتكم العلية: لص وشرطي وعصا وبعض الكلاب
ومجموعة خراف وأنا.
هذا ما فهمته من سيرة والدي الشخصية.

٦ - الوطن في عيون أمي

سألت أمي: ما معنى وطن؟
أجابت بحسرة: طوال خمسة وثلاثين عاما ووالدك يتحدث عنه،
بصراحة أنا لم ألتقه أبدا، وإذا التقيته سأقتله بيدي، لأنني أشك بأنه من
يقف وراء استشهاد والدك.

٧ - إعدام

حكم علي بالإعدام، فانهارت أعصابي، وتشردت أفكارني، ويات
جوابي على سؤال الجلاد:

ما هي رغبتك الأخيرة في هذه الحياة؟

مصدر إزعاج وقلق، وكأن السؤال يراد به الموت البطيء.

ولكن عندما تذكرت ما قاله الشهيد مشعل تمو (بشر القاتل بالقتل فلا
مصير له إلا القتل).

كانت رغبتني الأخيرة، هي الإسراع بتنفيذ الحكم.

٨ - حنين

قلت لطفل تعلق بوالده كثيراً، لقد أصبحت رجلاً، ولا يجوز أن تتعلق
بوالدك هكذا، أجبني ببراءة:
وهل هناك أعلى من الأب؟!
ثم تركني لصمتي وأسرع هو إلى أبيه منادياً: بابا.
كنت في أغلب الأحيان أنادي أبي بـ(ماموسته⁽¹⁾) ولكنني أشعر الآن
برغبة في أن أناديه بابا وأسرع إليه مثل صديقي (الطفل).

(1) تعني أستاذ بالكرديّة

٩ - ضاع الوطن

الحب والموت والوطن تتواجد هذه الكلمات معاً وبشكل دائم في قصائد وكتابات الأدباء لكنني لم أفهم سبب تواجد الثلاث كلمات معاً.

وبعد استشهاد مشعل تمو فهمت جيداً سبب تواجدها معاً.
مشعل تمو حبك للحياة والوطن كان سبب استشهادك،
وباستشهادك ضاع الوطن.

١٠ - كتاب التاريخ

قرأ حفيدي في كتاب التاريخ عن الثورة في بلادي، وجاء يسألني عن مشعل التمو وغيث مطر وإبراهيم قاشوش.

فكان جوابي:

بحنجرة القاشوش غنى الوطن.

بورود غياث أزهر الوطن.

ومن نظارة مشعل أطل الوطن مشرقاً، وعليه فقط بكى وطن.

في حضرة الوطن لوحات من سوريا

لوحة (١)

في كل دول العالم الشعب يختار حاكمه، فقط في سوريا الحاكم يختار شعبه!

لوحة (٢)

هناك ثلاثة أنواع من الشهادة من قتل في سبيل أهله أو عرضه أو ماله فهو شهيد، ومن اغتالته يد الغدر والشبيحة لأنه رفض إطلاق النار على المتظاهرين بعد سنة ونصف من الثورة، ومن طالتهم يد الإرهابيين والمخربين «وجهة نظر».

لوحة (٣)

كل من يخرج في مظاهرة، وكل من يشيع شهيداً، وكل من يتم اعتقاله،
وكل من يختار السير على طريق الشهادة أو النصر، فهو مشروع شهيد
سهل التحقق!!

لوحة (٤)

ليت الرسول «ص» وخالد بن الوليد وكل من تمنى الشهادة سابقا، ولم
ينلها، كان لا يزال على قيد الحياة؛ لأن رغبتهم تتحقق في سوريا، فكل من
يتمنى الشهادة ينالها هو وأهله وداره وجيرانه!!!!!!!!!!!!!!

لوحة (٥)

يخرج الثوار في جمعة تحت اسم: «مُهَلِّكُم تَقْتَلُنَا»، ويقصدون المجتمع الدولي، وينسون أن الله أيضا يُمَهِّل ولا يهمل!!!!

لوحة (٦)

منذ بداية الحياة، الأبناء يشيعون آباءهم، إلا في سوريا؛ الآباء يشيعون أبناءهم!!

ابتلاء

سمعت شيخ الجامع يقول: إذا أحب الله عبداً ابتلاه.
فأدرت كم نحن محبوبون عند الله تعالى، لنبتلي بهكذا حكام وهكذا
قادة.

أبو عكيد

أبو عكيد، هذا كان اسمه الذي استوحاه من أحد المسلسلات التي
كان يعشقها، ولكن مع بداية الثورة، ودخول قوات الأمن والشبيحة إلى
الحي، لم يعثروا سوى على شوارب أبو عكيد، وشرواله، الذين تركهما قبل
أن يغادر البلاد متنكراً.

الوحدة

أصابني قذيفة، فتناثرت أشلائي إلى كل مكان، وسال دمي على بياض الثلج، وبعد بضع دقائق، نهضت روحي، نفضت عن نفسها آثار الصدمة، وشرعت في ملمة أجزائي المتناثرة، وحين أنهكها البحث، جلست بجانب ما تبقى من جثتي تبكي وحيدة.

راعي

بعد أن ورث عن أبيه كلاب الحراسة والحمار، شرع باختيار القطيع.

قصة خيالية

بدأت الأم بسرد حكاية قبل النوم لطفلها.. كان يا ما كان، في قديم الزمان، في سالف العصر والأوان، كان هناك اتفاقية تدعى اتفاق هولير وهيئة كردية عليا ومجلس

قال الطفل الصغير مقاطعاً: هل هذه القصة حقيقية أم خيالية؟

- لا يا صغيري هي قصة خيال إعلامي.

- أنا أكره القصص الخيالية.

عندها صمتت الأم قليلاً ثم ربت على صدر ابنها وأخذت تغني له:

.De Lori Lori (2)

(1) مطلع لأغنية كردية تعني نام نام يا بني نام... قتلوا والدك

حراسة ليلية

كل شهر ندفع مبلغ 500 ل.س مقابل شيء ليس حراسة ليلية ولكنه يشبهها، طبعاً الحراسة قائمة على قدمين وساقين، لكن هؤلاء اللصوص الجبناء لو كانوا رجالاً من ظهر رجال، لما سرقوا في أيام العطل وأوقات الاستراحة.

إعادة تعريف

في المقهى المخصص للأدباء والمثقفين، تحدث الشاب بعنجهية عن قصصه ومقالاته والمنتديات التي ينشر فيها، وصفحته الفيسبوكية وكيف أنها تعجب بالإعجابات. بينما الرجل العجوز الذي يشغل طاولة في زاوية المقهى راح يتذكر الصحف والمجلات وفروع الأمن كيف كانت تكافئه بعد كل نتاج ينشر له.

تشابه... دكتاتور

كثيراً مما قرأت..

(فشل في الرسم، فشل في دخول كلية الهندسة، كانت رغبته أن يكون طبيباً، فشل في تحقيق حلمه، فشل.....).

تمكن من الالتحاق بالكلية العسكرية وتدرج بسرعة بين رتبها، وبكل سهولة أصبح دكتاتوراً وتسبب بمقتل الملايين من أبناء شعبه، بعد أن نجح وصار رئيساً للدولة.

أقزام

فرح الأقزام على طول ظلالهم المرسومة على الأرض، ولكن لم يدركوا أنهم يسرون عكس الشمس.

محاكمة

توفي رجل شرقي، وعلى أبواب السماء سُئل:

- أين أفنيت عمرك؟

أجاب: نصفه، أمام المؤسسات والدوائر الحكومية والأفران.

- والنصف الآخر؟

- في البحث عن الحرية.

لغز الشهداء

في اليوم الذي استشهدت فيه، كانت السماء غاضبة جداً، أتذكر برودة الطقس، وأتذكر أنني رأيت دمي يسيل في الشارع مختلطاً بمياه الأمطار الغزيرة، ولكن صديقي الذي نجا من الموت ذلك اليوم، مع أنه استشهد فيما بعد، أخبرني أنه في يوم مقتلي ارتدى نظارتي ونظر من خلالها، رأى الطقس فرحاً وجمالاً، كانت السماء تغني والشمس ترقص.

حظر

بعد قانون منع التجمع الذي أصدرته الحكومة، بات يترك ظله في المنزل أو يسبقه بعدة خطوات كلما خرج.

لاجئ

التقيت احد المنجمين، أخبره عن حلم واحد يراودني دوماً، خلال النوم أو في ما يسمى أحلام اليقظة، أرى نفسي جالساً في مكان دافئ وأسمع موسيقى دافئة وتجالسني شقراء وثالثنا شراب دافئ.

كان تشخيصه كالتالي: إما الوسادة تحت رأسك غير مريحة، أو على ما يبدو فإنك تنام بدون غطاء.

أجبتة: من جهة الوسادة، اعتاد رأسي الاستناد على حذائي.
أما الغطاء فأنا ألتحف خيمة وعراء صحراء في مخيم اللاجئين.

جدال الأحذية

تذمر قدري الدميم من حذائه الذي ينتعله منذ شهور، وقال مخاطباً الحذاء: مللت انتعالك صيفاً وشتاءً، مع العلم أن للصيف أحذية خاصة كما للشتاء أيضاً.

قاطع الحذاء وأجاب غاضباً: أنا وأنت متشابهان؛ فأنت أيضاً كنت مسؤولاً رفيعاً مع النظام وأصبحت مسؤولاً رفيعاً مع المعارضة، مع العلم أن للنظام رجاله كما للمعارضة أيضاً.

نداء

بعد أن تابع برنامج عن جمعيات الرفق بالحيوان والجهد الذي تبذله لحماية الحيوانات المهددة بالانقراض كتب رسالة قال فيها:

نداء إلى جمعيات الرفق بالحيوان، هناك حيوان ناطق في بلادي يدعى الإنسان، سينقرض قريباً إذا لم تتدخلوا!

الكاميرا والمخرج

خرج جميع الشهداء من قبورهم الفردية والجماعية وهم يضحكون.
عاد جميع النازحين واللاجئين إلى ديارهم وهم يضحكون.
قذف المسلحون بأسلحتهم بعيداً وعادوا مواطنين أليفين وهم
يضحكون.

خرج جميع المعتقلين من سجونهم وهم يمسحون آثار التعذيب
ويضحكون.

عندها ضحك الحاكم ضحكته البلهاء، واضعاً يده على وجهه وهو
يردد آه...آه، كنت متأكداً، أن ما يحدث في بلادي ليس إلا، الكاميرا
الخفية، وانتشر حراسه في كل مكان، يبحثون عن الكاميرا والمخرج.

مفتاح

بعد تعرض حي اليرموك للقصف بالطائرات، قرر النزوح خارج الوطن، وحرص على أن يأخذ معه مفتاح بيت جده في فلسطين ومفتاح بيته في سوريا .

كابوس منحبكجي

أخيراً أعلن الرئيس انشقاقه عن النظام، وانضمامه إلى صفوف الجيش الحر، وبعد وصول الرئيس المنشق وعائلته إلى الأراضي التركية، اعتذر من أهالي الشهداء ووعدهم بمحاكمة علنية وعادلة لكل من ساهم بسفك الدم السوري، وتعويض جميع المتضررين، ووعد فور وصوله الأراضي الفرنسية بتشكيل حكومة انتقالية تضمن إنهاء الأزمة. فرحب جميع أطراف المعارضة بهذا الانشقاق ووصفوه بالعمل البطولي، والأكثر جرأة على مسار الثورة، وصفقوا له طويلاً.

فخر

في السجن، سألني: ما تهمتك؟ أجبته بفخر: سياسي معارض، وعندما سألته: ما تهمتك أنت؟ حرك مقعده قليلاً ورفع رأسه مثل طاووس وقال مفتخراً: اختلاس، وبعد عشرين عاماً التقيته مصادفة، سألني عن أخباري، أجبته بفخر: لا زلت معارضاً، وبعد قليل من الصمت، قال: ألن تسألني عن أخباري؟ وقبل أن أسأله، أجب مفتخراً: أنا الآن عضو في البرلمان!

عريس

كانت مهمته بعد كل مجزرة، هي جمع أسماء الشهداء الذين سقطوا وتوثيقها لتقديمها لمحكمة الجنايات الدولية، كما كان يحلم، فهو من قام بتوثيق أسماء أصدقاء وأقارب له سقطوا جراء القصف أو برصاص قناص.

اختار لنفسه تاريخاً مميزاً، كان 2012-12-12 وخط اسمه بأعلى القائمة المخصصة لتوثيق أسماء الشهداء، ثم قبل يد أمه وخرج، وبالتزامن مع إغلاقه باب البيت، سمعت الأم صوت رصاص، تذكرت ابنها وهو يردد «اليوم، أنا عريس....».

دفتر الهواتف

فتح دفتر الهواتف على الحرف الذي يبدأ به اسم صديقه، وأثناء ضغطه على الأرقام، مرر شريط سريعاً يعرض ذكرياته مع صديقه. جاءه صوت أنثوي، فبادر هو:

- أريد أن أكلم أحمد.

سمع بكاءً صامتاً وكلمات دامعة: «أحمد استشهد».

أغلق السماعه بهدوء مرتبك، ولخوفه من سماع نفس الجواب، أغلق دفتر الهواتف، وبدأ يستعيد ذكرياته مع بقية أصدقائه؛ محمد، خالد، سامر، حمزة، عبود.....

رئيس

قال له الجرذ العجوز: ستبقى بيننا إلى أن تستعيد ذاكرتك، وفعلا اعتاد العيش مع الجرذان، فكان يأكل من نفس الحاوية ويشرب من نفس المجرور، ولكن هاجس أن تعود له ذاكرته لم يفارقه، وحياته السابقة ظلت محط تساؤلاته، فكثيرا ما تساءل عن اسمه وكيف كان يعيش وماذا كان يعمل، كل هذه التساؤلات لم تكن تتركه يعيش مرتاح البال، ومقاطع من الصور المرعبة كانت تحضره بشكل دائم، بقي على هذه الحال إلى أن سقط في إحدى رحلات البحث عن الطعام من أعلى الحاوية إلى الأرض وارتطم رأسه بقوة بالأرض، ففتح عينيه، وتذكر أنه كان رئيساً.

دافع

أفرغ رصاصاته في رأس ذلك الطيران الذي قصف المدينة الجامعية، وجلس بعيداً، يراقب الجثة وكلمات الطيار تعاد في مخيلته: «أنا أكره طلاب الجامعات، بضع علامات حالت دون دخولي إلى الجامعة، مما اضطرني للتطوع في الجيش». نفخ دخان سيجارته، وهو يردد: إذاً تستحق الموت.

قصف

اعتادت الأم، أيام الامتحانات، مرافقة ابنتها إلى الجامعة، وبعد أخذ ورد مع الابنة، تكسب الأم المرافقة، بحجة أنها ستنتظر خارجاً لكي تعودا معا إلى المنزل. وبعد القصف الذي تعرضت له الجامعة، لم تجد الأم سوى حذاء ابنتها لتعود معه إلى المنزل.

الله في خلقه شؤون

وحدهم الحكام والقياديون، يولدون بدون رؤوس، ولكن ينبت لهم فيما بعد جماجم، اعتادت الانحناء والخنوع.
أما الأحرار فيولدون برؤوس مرفوعة، ولكن تقطع رؤوسهم فيما بعد، لأنها ترفض الانحناء والخنوع.

مجزرة

كان يعلم ابنه الصغير كيف يعد من الرقم واحد حتى الرقم عشرة، وذلك احتاج منه الكثير من الوقت والكثير من الجهد، وبعد المجزرة تعلم الولد كيف يعد من الرقم واحد لغاية المائتين حيث كان الرقم واحد قذيفة من قبل النظام، وباقي الأرقام شهداء سقطوا في المجزرة.

القادر

مع كل يوم يزداد الحاكم دموية وإجرامًا وطغيانًا.
مع كل يوم يزداد عدد الشهداء.
مع كل يوم يزداد عدد الأيتام.
مع كل يوم يزداد عدد النساء الثكالي والأرامل.
وفي كل يوم هناك من يستطيع أن يوقف كل هذا ولكنه يمهل ولا يهمل؟

انشقاق

عاد إلى المنزل، كان حاله مزرياً والدماء تتقاطر من يديه وتوسلات نساء وصرخات أطفال تنتفض من بدلته العسكرية، استقبلته زوجته التي اعتادت على رؤيته بهذا المنظر منذ سنة ونصف، وقالت له: جهزت لك الحمام، فكان في كل مرة يشكرها ويتجه إلى الحمام، ولكن هذه المرة هو من بادر قائلاً: جهزي نفسك ريثما آخذ حماماً سريعاً، لأنني مللت القتل ومللت الاغتصاب، وسأعلن انشقاقي.

تشويه

ألقي القبض على كل من يسير في شوارع المدينة، حاملاً رأسه فوق كتفيه، دون أن يخفيه بين ضلوعه، بجانب القلب تماماً، وطبعاً تم زج هؤلاء المعتقلين في الأقبية والغرف الباردة، ذلك بتهمة تشويه الوجه الحضاري للمدينة.
الحمد لله لم يكن عدد المشوهين كبيراً.

تاريخ

كلما تاه طفل، أو أضعأ أحدهم شيئاً ما، كانت مهمته مناداة أهل المدينة لإيجاد المفقودات.
وعندما اختطفته العصابات المسلحة، لم يتذكر سوى الأطفال، عندها فكر في الشخص الذي سينادي من أجله.

هويتي

سألني الطبيب: متى بدأ الألم عندك؟
أجبتة: « وهل مر يوم واحد بدون ألم؟! »
فأدرك بأنني سوري.

تجارة الرقيق

العبودية أو الرق سابقاً هي نوع من الأشغال الشاقة القسرية، حيث كان العبيد يباعون ويُشترى في أسواق خاصة تدعى أسواق النخاسة. الصينيون استعملوا العبيد في الخدمة المنزلية أو العسكرية، وقدماء المصريين استعملوا العبيد في تشييد القصور الملكية والأعمال الشاقة. أما العبودية في يومنا هذا هي نوع من التبعية والتدليل، حيث يباع ويُشترى العبيد في أسواق السياسة. الحكام والقياديون وبعض المعارضين السياسيين استعملوا العبيد في التصفيق والتطيل والتزوير. وملكية العبيد كانت وما زالت تعود للشخص الذي يدفع أكثر.

تضامن

تكلم مع والدته التي بدأت تشكو نقص المازوت والغاز والخبز وانقطاع الكهرباء وووووو...

قاطعها قائلاً: لا تمر دقيقة ولا أفكر فيكم، وهل تظنين أي مرتاح البال وأنا بعيد عن وطني، وبعد أن أنهى المكالمة، رفع صوت الموسيقى وطلب من صديقتة الشقراء أن تشاركه الرقص والشراب.

أمنية

سأله المعلم: ماذا تتمنى أن تصير عندما تكبر؟
- أي شيء، إلا يتيم.

تنكر

أمر الحراس بقتل جميع الرجال، في بلاد انقسم الرجال فيها إلى ثلاثة أنواع:
منهم من قابل الموت، ومنهم من ارتدى هيئة النساء، ومنهم من فضل الهرب على مبدأ أنه ثلاثة أرباع المرحلة.
فأمر الحاكم حراسه بقتل جميع النساء، فتنكر الرجال والنساء على هيئة أطفال.
عندها أمر الحراس بقطع رؤوس جميع الأطفال.

خلق

احتاج الله فقط سبعة أيام لخلق الكون بكل ما فيه.
ونحتاج إلى آلاف الشهداء للتخلص من حكام ومصنفين ومطبلين
ومزمرين خلقهم الله.

شهادة حياة

في طابور الانتظار لمح أحد الأصدقاء اقترب منه
سأله عن أخباره
أجاب الصديق: الحمد لله
أنا وأبي وأمي شهداء، وأنا هنا للحصول على شهادة حياة لأخي...
وأنت؟
أنا وأبي وأخي شهداء، وأنا هنا للحصول على شهادة حياة لأمي وأختي.

قبر

منذ أن تعلم قابيل كيفية الدفن، وكل إنسان يخصص له قبر.
أما في وطني، فكل قبر، يخصص له مجزة تضم المئات من الشهداء.

مهمة

كانت مهمة الطيار المجرم أن يقصف 300 شخص، كلُّ في منزله، إلا أنه وجدهم مجتمعين ينتظرونه في طابور منتظم أمام أحد الأفران في حلفايا⁽³⁾.

يتامى

اثنان وأربعون عامًا ونحن نهتف أمة عربية واحدة .
مئة عام ونحن نهتف لكردستان .
وما نحن إلا يتامى العرب .
ويتامى أكراد تركيا والعراق .

(3) حارة في إحدى المدن السورية

وطنية

عندما كان شاباً كان يردد النشيد الوطني بصوت عال لكي لا يراه
أصدقاؤه التبعيون ويشون به.
وعندما اندلعت الثورة، كان أول من نادى بإسقاط النظام.

بابا نويل في سوريا

بابا نويل الشخص الذي طلب من الأطفال أن يقفوا في طابور منتظم
لكي يوزع عليهم الخبز!

كيماوي

رفع أحد أطفال مجزرة الغوطة رأسه وبعد أن تحسس جسده صرخ:
يا أيها الأطفال، نحن أحياء! فتح طفل آخر عينيه وقال للأول: أغمض
عيونك وأكمل موتك! لكن الأول رد بفرح: انظر؛ لا يوجد ولا نقطة دم
واحدة سالت من أجسادنا، إذًا نحن أحياء.

وعندما سمعه بقية الأطفال فتحوا عيونهم متفحصين ثيابهم وأجسادهم
وهم يرددون: إنك على حق، نحن أحياء، ولكن أين ألعابنا؟

مسببات

قال الفلاسفة القدامى: لكل داء دواء، ولكل سبب مسبب له.
في بلادي، وحده الحزن، لم يجدوا له مسبباً.

مشاركة

في وطني...
يجمعنا ونحن أحياء حدود وطن نشترك بالعيش فيه.
ويجمعنا ونحن شهداء حدود قبر نشترك بالدفن فيه.

مصالح

سألني أحد الصحفيين عن احترام الدول الأوروبية للإنسان فأجبته
كالتالي:
الدول الأوروبية مستعدة لمحاكمة أي إنسان يسيء معاملة الحيوانات،
وغير مستعدة لاتخاذ قرار لمحاكمة حيوان «كالرئيس» يسيء معاملة
الإنسان.

حفار القبور

حُشد جميع أهالي القرية، في الساحة الكبيرة، وعزل الرجال عن النساء والأطفال.

وبدأ إطلاق النار على النساء والأطفال، أما الرجال فيُسألون عن مهنتهم قبل إطلاق النار عليهم، وذكرت تقريبا جميع المهن.

وما أن يذكر الرجل مهنته، حتى يسمع صوتاً يصرخ: نار!

وعندما سُئلت عن مهنتي، سمعت صوتاً يصرخ: اتركوه؛ فلديه ساعة واحدة فقط لتنظيف الساحة من الجثث وكأن شيئاً لم يكن.

تمييز

نبد التمييز العنصري كان يأخذ معظم وقتي، فما معنى أن يكون الأبيض هو السيد والأسود أو الزنجي هو العبد؟! وما ذنب الإنسان إذا خلق أسود؟! وبسبب نشاطي في الدفاع عن حقوق الزنوج، والدعوة إلى المساواة وإنهاء كافة أشكال التمييز العنصري، تخلى عني جميع أصدقائي. أما بخصوص ثروتي فقد جنيته من عملي في نجارة الخشب، وتحديدًا عندما بدأت بمشروع: (بيتك أجمل مع المرأة الزنجية)، فقامت بصناعة تماثيل للمرأة الزنجية، ولاقت هذه التماثيل ترحيبًا واسعًا وإقبالًا لا مثيل له.

رسالة تهديد

نظر إلى عيني ابنته التي نظرت إليه بدورها وقالت: بابا، كم أنا فخورة بك!

وفي تلك اللحظة بالذات تحول قلمه إلى قائد عسكري، وتحولت كلمات مقالاته وقصائده إلى جيش وقف بوجه الخفافيش والأقزام، تلك التي تطايرت من رسالة التهديد التي وصلته من أشخاص مجهولي الهوية والتاريخ.

نصيحة

كانت تفكر كثيراً وتحب العزلة، وحين قال لها:
الفتاة لم تُخلق لتعشق بل خُلقت لتُعشق.
انتحرت...

تربية

عندما كان صغيراً، ويريد اللعب مع البنات، كان والده يؤنبه ويذكره بكلمات لازالت عالقة في ذهنه: أنت صبي، ولا يجوز أن تلعب مع البنات! وبعد أن صار شاباً، لم يجد من يلعب معه من الفتيات.

أختي

قال لها: أحبك.
قالت: دعني أفكر!
قال: بسرعة!
وبعد سنوات من الحب.....
قال لها: لقد تسرعت، فأنت مثل أختي.

قاص من ذاك الزمان

كان يكتب الكثير من القصص ولكنه لم يكن ينشر أيًا منها، لأنه كان يخشى من الحكومة والرقابة الأمنية، فنصحه أحد الأصدقاء بالكتابة والنشر تحت اسم مستعار.

أعجبه الفكرة، فأرسل أول قصة له تحت اسم اختاره له صديقه، وفي الصباح استيقظ على طرقات عنيفة على الباب، كانوا أربعة رجال مدججين بأسلحتهم، اقتادوه إلى أحد الفروع، وبعد أيام من التعذيب، قال له المحقق: نحن نعتذر منك، بصراحة وردنا تقرير يفيد بأنك تتستر على مجرمين ومشبهين وفارين من القانون وسياسيين معارضين في غرفتك، ولكن بعد تفتيش الغرفة لم نعثر على شيء، عندها رسمت شفتيه ابتسامة، وتذكر الاتفاق بينه وبين شخصيات قصصه، بأنه إذا تأخر عن الغرفة لأكثر من ثلاث ساعات عليهم مغادرة الغرفة.

أقصر قصة قصيرة

قرأت ذات مرة أن أقصر قصة قصيرة كلماتها لم تتجاوز كلمات السطر الواحد، فعزمت على تحطيم هذا الرقم القياسي. بدون أن أبذل أي عناء كتبت قصة قصيرة عبارة عن كلمة واحدة وبدون عنوان، وهي (كيفك؟)⁽⁴⁾.

لكن قصتي هذه واجهت اعتراضاً شديداً من قبل رجال الأمن والسياسة، فانهال عليها النقاد حاقدين حانقين، وحكموا عليها بالإعدام، ليس لأنها لم تستوف شروط القصة القصيرة، بل كانت الحجة لإعدام قصتي، أنها تسيء للإنسان بشكل عام، وللمواطن الشرقي بشكل خاص، وتحرك في نفسه نزعة عداوية تجاه الحاكم، وتظهر القيمة الحقيقية للإنسان في بلاده.

(4) كلمة بالعامية السورية تعني كيف حالك؟

الحياة

الموت والحزن، يولدان مع أول صرخة ولادة، ويزوراننا كل يوم.
الحزن قد يتمكن منا أحيانا كثيرة.
الموت الذي يحاول كل يوم، إلا أنه لا يتمكن من لقائنا إلا مرة واحدة،
وبهذا اللقاء يُسكت الصرخة، التي كانت سبب ولادته.

كش ملك

تحدثوا كثيرا عن أحجارهم، حتى تبين أنهم مجموعة بيادق، تسقط
بسقوط الملك.

عجوز

رأيتها في محطة القطار، كانت تسير ببطء تبحث عن مقعد تريح عليه جسدها، تنثر ابتساماتها لجميع العيون التي تراقبها، وفي القطار جلست على المقعد الذي يقابلني، نظرت إلي طويلا والابتسامة لا تفارقها، تحدثت بكلمات مع أحد الأطفال، ثم نظرت إلى يديها وحاولت إخفاء أظافرها، وحين تنبعت أني أراقبها، قالت مبتسمة: أظافري قد طالت ولا أجد من يقلمها لي! ولكنني حافظت على صمتي، ودعوت الله أن أجد من يقص لي أظافري، وأن أجد من أحدثه حين أصبح عجوزاً مثلها.

حاقد

قالت له أمه:

إنك ولد عاق، وإن قلبك مليء بالحقد والكراهية ولن يحبك أحد،
وستبقى فاشلاً مهما ارتقيت، وستحقد على الآخرين نجاحاتهم، وإذا
أردت أن تعرف نفسك جيداً فقف أمام المرأة وانظر إلى وجهك بتمعن،
وستعرف كم أنت سخيّف وتافه.

ومنذ ذلك الوقت وهو يعيش بلا رأس وبلا وجه، ولا يعرفه سوى
الذين يعيشون مثله بلا رؤوس وبلا وجوه، ولكن مازالت المرأة، كلما
وقف أمامها، تقول له: كم أنت سخيّف وتافه!.

صحة ضمير

كان أبو العز موظف الصندوق ومسؤول الحسابات في وزارة التجارة، لكنه أصيب بصحة ضمير مفاجئة، وبما أن هذا المرض نادر، لكنه موجود، لم يفقد أبو العز الأمل في العثور على العلاج المناسب.

لكثرة سؤاله الموظفين الذين أصيبوا قبله بهذا المرض وجد ضالته لدى إحدى العرافات التي نصحته بدورها: يجب أن تخرج ضميرك من خزانة الوزارة! شفي أبو العز تماماً، إلى أن قامت الثورة السورية، عندها أعلن انشقاقه وغادر القطر ملتحقاً بصفوف المعارضة، التي وجدت في أبو العز، نظراً لخبرته الطويلة في مجال الحسابات، الرجل المناسب الذي يجب أن يدير خزانة المعارضة.

علم أبو العز أنه أصبح مسؤولاً عن أموال مخصصة للاجئين والنازحين والمشردين من أبناء الوطن، فكانت أول خطوة قام بها أن أودع ضميره داخل الخزانة وتأكد من إقفالها جيداً.

سر المهنة

منذ صغري وأنا أحبذ الطرق القصيرة وأعتمدها في حياتي، وأكثر الطرق وأقصرها تلك التي أرتادها في كل مشاريعي، وهي كانت السبب في كوني الآن وزيراً، هو أن تهمس في أذن رجل الأمن وتترك درج مكتبك مفتوحاً أمام المواطنين.

تفضيل

جاءني نبأ موتي تحت التعذيب، وعلي أن أذهب للمشفى العسكري لاستلام جثتي، وعندما أدخلت لغرفة الجثث لم أتعرف بسهولة على جثتي لشدة تشوهها نتيجة التعذيب، حيث كانت ، تمدد بجوارها شاب عشريني لمحت عينه ترفّ فأدركت أنه لا يزال على قيد الحياة، فقلت بصوت مبحوح: هذه جثتي، وأنا أشير لجثة الشاب.

خطيب

يُجيد الخطابة بلغة غير سليمة، يرفع السلطان ويضيف نفسه ويجر الشعب إلى المجرور.
هذا ما أفهمه من الخطبة قبل أدائي لصلاة الجمعة.

خيانة

حلمت بأني الحارس الشخصي للرئيس، وذات يوم قررت اغتياله.
شكرت ربي حد البكاء، عندما استيقظت وكان كل ذلك مجرد حلم؛
لأن رصاصاتي جميعها انحرفت عنه، وأصابت أصدقائي.

ربيع... .

ما هي فصول السنة يا أبي؟

– صيف، خريف، شتاء، ربيع... .

هدير طائرة يَحترق جدار الصوت، دخان متصاعد، أشلاء متطايرة.

من تحت أنقاض المنزل، أُخرج الأب.

ونبتت زهور الياسمين بعدد الأطفال.

• • • ديمقراطية أبي • • •

معاناة اختفى منها السرد

تكبير

أكثر من 200 ألف شهيد ومليون لاجئ وآلاف المعتقلين والمفقودين.

عمالة

قبل الثورة لإسرائيل وبعدها لقطر وتركيا.

انفصال

تهمة الكردي وقلق العربي.

تهمة أردوغانية

لذلك الكردي الذي لا يصفق لأحد.

شهيد ياذن الله

كلمات مورفينية، تمنحنا القليل من الصبر للتخفيف من هول المصيبة التي حلت بنا.

اصطياد

فشل القناص في العثور على جثة طائشة فسارع إلى اصطياد براءة الأطفال، بسكين.

ولاء... شيء

التهميش ليس له لون ولا رائحة، هو بكل سهولة لدى البعض ممارسة وأفعال ومواقف.

يا... حيف

أكبر كذبة درسناها في مدارس آل الأسد هي... الوطن العربي!

العبة المفضلة

الاستشهاد: أفضل لعبة لدى أطفال سوريا .

رخصة

الجهة المجهولة هي طائشة أمام رصاصة القناص المرخصة.

هنا سوريا

الإرهاب لا دين له .
الشييحة لا طائفة لهم .
الارتزاق لا حدود له .

الفهرس

7 مقدمة
13 في حضرة والدي
14 1 - السلطة
14 2 - قدوة
15 3 - وراثة
15 4 - رسول
16 5 - مقومات
16 6 - الوطن في عيون أمي
17 7 - إعدام
18 8 - حنين
19 9 - ضاع الوطن
19 10 - كتاب التاريخ
21 في حضرة الوطن
	لوحات من سوريا

• • • ديمقراطية أبي • • •

- 22 لوحة (1) -
- 22 لوحة (2) -
- 23 لوحة (3) -
- 23 لوحة (4) -
- 24 لوحة (5) -
- 24 لوحة (6) -
- 25 ابتلاء -
- 25 أبو عكيد -
- 26 الوحدة -
- 26 راعي -
- 27 قصة خيالية -
- 28 حراسة ليلية -
- 28 إعادة تعريف -
- 29 تشابه.... دكتاتور -
- 29 أقزام -
- 30 محاكمة -
- 30 لغز الشهداء -
- 31 حظر -

- 31 لاجئ -
- 32 جدال الأحذية -
- 32 نداء -
- 33 الكاميرا والمخرج -
- 34 مفتاح -
- 34 كابوس منجبكجي -
- 35 فخر -
- 35 عريس -
- 36 دفتر الهواتف -
- 37 رئيس -
- 38 دافع -
- 38 قصف -
- 39 لله في خلقه شؤون -
- 39 مجزرة -
- 40 القادر -
- 40 انشقاق -
- 41 تشويه -
- 41 تاريخ -

• • • ديمقراطية أبي • • •

- 42 هويتي -
- 42 تجارة الرقيق -
- 43 تضامن -
- 43 أمنية -
- 44 تنكر -
- 44 خلق -
- 45 شهادة حياة -
- 45 قبر -
- 46 مهمة -
- 46 يتامى -
- 47 وطنية -
- 47 بابا نويل في سوريا -
- 48 كيماوي -
- 48 مسببات -
- 49 مشاركة -
- 49 مصالح -
- 50 حفار القبور -
- 51 تمييز -

- 52 رسالة تهديد -
- 52 نصيحة -
- 53 تربية -
- 53 أختي -
- 54 قاص من ذاك الزمان -
- 55 أقصر قصة قصيرة -
- 56 الحياة -
- 56 كِش ملك -
- 57 عجوز -
- 58 حاقد -
- 59 صحوة ضمير -
- 60 سر المهنة -
- 60 تفضيل -
- 61 خطيب -
- 61 خيانة -
- 62 ربيع -
- 63 معاناة اختلفى منها السرد -
- 64 تكبير -

• • • ديمقراطية أبي • • •

- 64 عمالة -
- 64 انفصال -
- 65 تهمة أردوغانية -
- 65 شهيد بإذن الله -
- 65 اصطياد -
- 66 ولا... شيء -
- 66 يا... حيف -
- 66 اللعبة المفضلة -
- 67 رخصة -
- 67 هنا سوريا -

